

## ١٩ - المراجع الأهمق

الصورُ التي أتذكرُها عن المراجعينَ كثيرةٌ،  
 والمواقفُ مُتنوعةٌ، فالناسُ أشكالٌ، والقادمونَ  
 أجناسٌ، والزائرونَ كُلَّ يومٍ تنوعٌ حاجاتهمُ،  
 وتعددٌ ثقافتهمُ، وتختلفُ أساليبهمُ في القولِ  
 والمطالبةِ، وفي الحوارِ والمناقشةِ.

وعلى المسؤُول أن يتحمَّلَ ويصبرَ، ويلزمه أن  
 يحلِّمَ ويتأنَّى، ويجبُ عليه أن يسمعَ منهمُ، وأن  
 يقابلهمُ، وأن لا يجمعَ سَوَاتينَ، فظاظَةً استقبَالِ،  
 وقسوةَ قولِ، وفوقَ ذلكَ عدمَ استجابةٍ للحاجةِ.  
 وكما قالَ المتنبيُّ: (فليُسعدِ النطقُ إن لم يُسعدِ  
 الحالُ).

ومن الصور التي أتذكرها أنه قدم ذات يوم إلى مكّتي في إدارة التّعليم بالرياض شخص له معاملة في الإدارة، وطلب توجيه القسم المختصّ بإنهاء الأمر وفق رأيه وحسب رغبته.

وقد شرحتُ على استدعائه بطلب المفاهمة مع رئيس ذلك القسم لأستجلي الأمر، وخرج الرجل، ثم عاد بعد ساعة، وقسأ في القول على رئيس ذلك القسم، وهدأته وطلبتُ منه الانتظار والمراجعة بعد صلاة الظهر، أو في الغد إن شاء الله.

وبعد الصلاة جاء إلى المكّتب، وجلس مع المراجعين، وقلتُ له: لقد علمتُ أنك تطلب من

الإدارة استئجارَ حافلتك، وهذا لا بُدَّ له من منافسة، وقد أخبرني القسمُ المختصُّ أن غيرك أقلُّ سعراً منك، وبهذا لا يمكنُ تعميْدك؛ فهذا هو النظامُ.

لكنَّ قولي لم يُعجبه، ووقفَ، وقال: لماذا تبسمُ وأنت تُحدِّثني؟

قلتُ له: البسمةُ خيرٌ من القسوةِ، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه حسن.

قال وقد ولى، ووقفَ قُربَ البابِ، واستدارَ نحوي: اسمع، أسألُ الله أن لا يوفِّقَكَ. فلم أجبه؛ فقد تذكَّرتُ قولَ الشاعرِ:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ

فخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

ولكنه غضب، ورفع صوته، وعاد حتى  
وصل قرب الطاولة، وطلب أن أُجيبه، فقلت له  
بكلّ هدوءٍ: أسألُ الله أن يوفّقك وأن يهديك.

قال: أسألُ الله أن لا يجزيك خيراً. ردّ عليّ.  
قلت له: أسألُ الله لك الخير والتوفيق، وهياً  
توكّل على الله، واترك الجدال، ودعنا نعمل.

وكان حاضراً في المكتب بعضُ المراجعين  
فغضبوا، وانبرى أحدهم مُجادلاً إيّاه، وما كادَ  
ذلك المراجعُ الآخرُ يتكلّمُ ويقولُ له: اتق الله

يارجلُ، وتأدَّبُ حَتَّى ثارتُ ثائرتُهُ، وقالَ لَهُ:  
اسكُتْ. ونشِبَ بينهما جدالٌ وخصامٌ كادَ أَنْ  
يكونَ عراكاً ونزالاً، ولكنِّي رجوتُ الحاضرينَ  
الهدوءَ، وتركَه، فالأمرُ يخصُّني، ثُمَّ إِنَّ الرجلَ  
طلبَ الجوابَ، وأنا أجبتُهُ.

وبعدَ أَنْ هدأتُ الحالَ، وخرجَ المسكينُ قالَ  
أحدُ الحُضورِ: يا عبدَ العزيزِ، لا بدُّ أَنْ يتأدَّبَ  
هذا الجاهلُ، وعليه أَنْ يتعلَّم. وأنتم - رجالَ  
التربية - روضوا هذا، وعلموا ذلك. فقلتُ لَهُ: إِنَّ  
الرجلَ شبَّ عَن الطُّوقِ، وَإِنَّ المسكينَ عَلاه  
الشيْبُ، وَمَاذا يُجدي تعليمُهُ؟! وكيفَ يتمُّ  
توجيهُهُ والحماقةُ أعمته، والسذاجةُ أضلَّته؟! ثُمَّ

أما سمعت قول الشاعر:

أتروضُ عرسكَ بعدَ ما كبرتُ

ومن العناءِ رياضةُ الهرمِ

ويَقيني أَنه سوفَ يندمُ حينَ يثوبُ إلى  
رُشده، وأجزمُ أَنه سوفَ يتألمُ حينَ يهدأُ غضبه.

وبعدَ أنْ ذهبَ الرجلُ بتُّ أفكرُ في أمره فقد  
خَشيتُ أنْ يغلبني الهوى؛ فالنفسُ ضعيفةٌ،  
وخفتُ أنْ يكونَ هذا الرجلُ مظلوماً، وأنَّ في  
الأمرِ شيئاً، فربَّما أنَّ هذا التصرفَ منه عن  
ضعفٍ وخورٍ، أو عن أسىٍ ويأسٍ، ولهذا طلبتُ  
الأوراقَ كاملةً، ونظرتُ فيها، وقرأتها ورقةً

ورقة.. وأدركتُ أنَّ المسكينَ كانتْ له حافلةٌ  
تُستأجرُ منه منذُ سنواتٍ، وفي هذا العامِ نافسه  
مواطنٌ آخرٌ، حالتهُ أيسرُ، وناقلاته أكثرُ،  
والفرقُ بينهما يسيرٌ، والسعرُ بينهما قليلٌ،  
ولعله خمسةُ رياتٍ.

وعندَ ذلكَ أشفقتُ عليه، ورثيتُ لحاله،  
واستدعيتُ ذلكَ المقاولَ، وأخبرتهُ بالقصةِ،  
ورجوتُه أنْ يتنازلَ عن الأمرِ لهذا المسكينِ.  
وكانَ شهماً استجابَ لطلبي، ولبي رجائي.

وعمدنا هذا الغاضبَ، وعندَ ذلكَ حمدتُ  
اللهَ أنِّي سيطرتُ على أعصابي، وملكْتُ  
مشاعري، وترفقتُ بذلكَ الضعيفِ.

هذا، وبعد أسبوعين عاد المسكينُ يدي  
أسفه، ويظهرُ ندمه، فقلتُ له: احفظُ قوله  
تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ  
بِاللَّهِ﴾. كررها دوماً، وردّها مراراً، وتذكّر -  
هداك الله - أنك ربّما تقابلُ من يقسو عليك  
ويزجرك.